الفصـــــل الثانـــــى

حديـــــث "أنـــــزل القـــــــرآن على سبعـــــة أحـــــــرف"

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول:شبه الطاعنين فى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف والرد عليها

المبحث الثانى : معنى نزول القرآن على سبعة أحـرف 0

المبحث الثالث : الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع 0

المبحث الرابع : بقاء الأحرف السبعة فى المصاحــف 0

المبحث الأول
شبه الطاعنين فى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف والرد عليها

حديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف طعن فيه الرافضة قديماً، وزعموا بأنه يثبت كفر الصحابة بوقوع التحريف اللفظى فى القرآن الكريم، وهم كفار بذلك مشركون عند جميع أهل الإسلام[1]0

وقديماً كان الإمام ابن حزم يرد على مزاعم وطعون قساوسة النصارى بأن القرآن فيه تحريف ونقص، وضاع كثير من أصوله وقراءاته باعتراف المسلمين من الشيعة الرافضة 0

فيجيبهم ابن حزم بقوله : "إن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ولا على المسلمين، لأن الشيعة غير مسلمين ... إنما هى فرق حدث أولها بعد موت النبى [illegible][2]

---

[1] () الإحكام فى أصول الأحكام 1/94 0

[2] () الفصل فى الملل والنحل 2/78، وانظر : مختصر التحفة الإثنى عشرية 30، 50، 82، والكافى للكلينى 1/341 – 453، وفصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسى ص 156–157، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها 1/231، والخطوط العريضة ص 27–30، والشيعة والسنة للأستاذ حسين الهى ظهير ص 65 –130 0

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

1 () أخرجه أحمد فى مسنده 5/41، 52، 114، 122، من حديث أبى بكره [illegible]

2 () انظر : مذاهب التفسير الإسلامى لجولدتسهير ص 8، 53 وما بعدها 0

3 () المصاحف لابن أبى داود تحقيق آرثر ص 7، وانظر : إعادة قراءة القرآن لجاك بيرك ص 84، 89

4 () انظر : الاستشراق لفضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق ص 109، 110، ومجلة الوعى الإسلامى مقال الدكتور حسن عزوزى آليات المنهج الاستشراقى فى دراسة مصنفات علوم القرآن العدد 396 ص 38 – 42 0

[illegible] : "[illegible]"[1]

[illegible] : "[illegible] ... [illegible]"[1]

[illegible]

[illegible] : "[illegible]"[1]

[illegible] : [illegible] "[illegible]" [illegible]

---

[1] () طه حسين : هو طه حسين بن على بن سلامة بدأ حياته فى الأزهر، ثم الجامعة المصرية القديمة، وهو أول من نال شهادة منها سنة 1914م، وحصل على العالمية من فرنسا، وعمل أستاذاً بكلية الآداب، فعميداً للكلية، فمديراً للجامعة المصرية، فوزيراً للمعارف 0 من مؤلفاته : مستقبل الثقافة فى مصر، والشعر الجاهلى، وفى الأدب الجاهلى، والفتنة الكبرى، وغير ذلك من مؤلفاته التى تحمل سموم الاستشراق مات سنة 1973م، له ترجمة فى الأعلام 3/231، وانظر : رجال اختلف فيهم الرأى للأستاذ أنور الجندى 0

[2] () فى الأدب الجاهلى ص 94،95، وممن قال بقوله المستشار سعيد العشماوى فى كتابه حصاد العقل ص 72،73، والدكتور محمد أركون فى كتابه الفكر الإسلامى نقد واجتهاد ص 77-99، والدكتور نصر أبو زيد فى كتابيه "نقد الخطاب الدينى" ص 53، "والإمام الشافعى" ص 59-62، والمستشار مصطفى المهدوى فى كتابه "البيان بالقرآن 1/23، وانظر : رد الدكتور محمد محمد حسين على بحث جامعى فى كتابه "حصوننا مهددة من داخلها" ص 251-270 0

[3] () دفع الشبهات عن الشيخ الغزالى ص 148 0

[illegible]

1 ( ) الأزهار المتناثرة ص 49، 50 رقم 59 وانظر : تدريب الراوى 2/179، 180، وتوجيه النظر ص 49، وفتح البارى 9/643 رقم 4991، 4992، وفواتح الرحموت 2/15 0

2 ( ) نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص 173رقم 197، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة فى نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة عبدالعزيز الغمارى،ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص 212 0

3 ( ) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف 8/639 رقم 4991 0

4 ( ) مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه 3/360 رقم 819 0

5 ( ) هشام بن حكيم : صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة 3/603 رقم 8963، والاستيعاب 4/1538 رقم 5374، ومشاهير علماء الأمصار ص 35 رقم 134 0

6 ( ) البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف 8/639 رقم 4992، ومسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه 3/359 رقم 818 0

وروى مسلم بسنده عن أبى بن كعب قال : "كنت فى المسجد، فدخل رجل يصلى، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ، فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبة 0 فأمرهما رسول الله فقرأ، فحسن النبى شأنهما، فسقط فى نفسى من التكذيب وَلاَ إِذْ كنتُ فى الجاهلية 0 فلما رأى رسول الله ما قد غشينى ضرب فى صدرى، ففضت عرقاً، وكأنما انظر إلى الله فرقاً فقال لى : **يا أُبىّ أُرسلَ إِلىَّ : أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه : أن هون على أمتى، فرد إلى الثانية : اقرأه على حرفين فرددت إليه : أن هون على أمتى، فرد إلى الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردةٍ رددتها مسألة تسألينها 0 فقلت : "اللهم اغفر لأمتى، اللهم اغفر لأمتى، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم** [1] أ 0هـ 0

ومن هذه الروايات المتفق على صحتها يظهر إفك من زعم بأن روايات نزول القرآن على سبعة أحرف مكذوبة، كما يظهر إفك من زعم أن القرآن نزل بحرف واحد فقط 0

وظهر فى الروايات السابقة : "أن اختلاف القراء إنما حدث فى حياة الرسول "

ثانياً : لو كان خلو المصاحف من الشكل والإعجام سبباً فى تنوع القراءات واختلافها، لكان القارئ الذى يقرأ الكلمة وفق

---

[1] () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه 3/360 رقم 820 0

رسم معين، يلتزمه فى أمثاله ونظائره حيث وقع فى القرآن الكريم، ولم يحدث هذا، وإليك مثالاً واحداً0

قوله تعالى فى فاتحة الكتاب [1] وقوله سبحانه [2] وقوله تعالى فى سورة الناس [3]0 فلو تأملت المواضع الثلاثة فى المصحف لوجدت الكلمة فيها كلها هكذا "ملك" بالميم واللام والكاف فقط، ولكن حفصاً يقرأ عن عاصم، فى الفاتحة "مالك" بالألف بعد الميم، وكذلك يقرأ آية آل عمران، أما فى سورة الناس فيقرأ "ملك" من دون الألف كان حفص يقرأ وفق رسم المصحف لقرأ فى المواضع الثلاثة "ملك"، ولكنه يقرأ بالرواية المتواترة عن رسول الله [4]0

وكذلك قد تختلف القراءات أحياناً لغة ونحواً، وهكذا يبدو للناس فى ظاهر الأمر، ولكن الاختلاف فى الحقيقة راجع إلى التلقى والرواية، لا إلى القاعدة اللغوية أو النحوية 0 وهذا مثال واحد : قال الله تعالى : 0 جاءت هذه الآية فى موضعين[5] ويقرأ القراء جميعاً "كلاً" بالنصب فى الآيتين، لكن ابن عامر يقرأ آية النساء بالنصب؛ كسائر القراء،أما آية الحديد فيقرأها وحده"وكل"بالرفع،وللنحويين فى توجيه الرفع والنصب كلام 0

فلو كان ابن عامر يقرأ وفق القاعدة النحوية لقرأ الآيتين بالرفع، ولكنه قرأ بالرواية التى تلقاها هو بالتواتر عن سيدنا رسول الله : مرة بالنصب، ومرة بالرفع، مع أن تركيب الآية واحد فى الموضعين 0

---

1 () الآية 4 من سورة الفاتحة 0
2 () الآية 26 من سورة آل عمران 0
3 () الآية 2 من سورة الناس 0
4 () انظر:القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين لفضيلة الشيخ عبدالفتاح القاضى ص 49-53 0
5 () جزء من الآية 95 من سورة النساء، وجزء من الآية 10 من سورة الحديد 0

ومثال ثان : الإمالة ظاهرة صوتية، وهى "ان تنحيى بالألف نحو الياء، فيلزم أن تنحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة"، وهى لغة بعض القبائل العربية، وقد قرأ بها بعض القراء، والتزموها حيث وجدت دواعيها فى القرآن الكريم، لكن حفصاً الذى يقرأ بقراءته، كثير من المسلمين الآن بروايته عن عاصم، لم يقرأ بالإمالة إلا فى موضع واحد من الذكر الحكيم وهو قوله تعالى

[1]

وهكذا يختلف القراء ويتفقون بحسب الرواية والتلقى، وليس بحسب رسم المصحف أو الوجه النحوى أو اللغوى، صحيح أن هذين فى الاعتبار، ولكن بعد ثبوت الرواية بالتواتر، والسند الصحيح إلى رسول الله ، وموافقة الرسم العثمانى، وأن يكون للقراءة وجه صحيح من العربية 0

فإذا سمعت قراءة مسندة لواحد من القراء السبعة أو العشرة؛ كأن يقال : قراءة نافع أو عاصم أو الكسائى، فلا تظن أنها من اختراعه أو ابتداعه، ولكنها اختياره الذى ارتضاه من طريق الرواية المسندة الصحيحة 0

ولذلك أثر عن أبى عمرو بن العلاء وهو أحد القراء السبعة قوله "**لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قرئ به لقرأت كذا وكذا0 وذكر حروفاً**"0

ويريد أبو عمرو أن القراءة سنة واتباع وأثر، ولا دخل فيها للسليقة أو الاستحسان اللغوى أو الترجيح النحوى أو رسم المصحف 0 ومن ثم يرى كثير من العلماء أن ترجيح قراءة متواترة على قراءة متواترة لا يجوز0 يقول أبو العباس ثعلب "إذا اختلف الإعراب فى القرآن عن السبعة، لم

---

[1] () جزء من الآية 41 من سورة هود 0

أفضل إعراباً على إعراب فى القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام، كلام الناس فضلت الأقوى"[1]0

قـراءات ربانيـة :

يقول الدكتور محمود الطناحى : "فثبت إذن أن القراءات القرآنية كلها بوجوهها المختلفة من عند الله، ولا دخل لخط المصحف فيها، ولا للوجوه النحوية أو اللغوية فيها كذلك، وثبت أيضاً أن اختلاف القراءات القرآنية إنما هو اختلاف تنوع،لا اختلاف تضاد"[2]أ 0هـ 0

واعلم أن معنى قول "أبى بن كعب" "**فسقط فى نفسى من التكذيب إلخ**" أن الشيطان ألقى إليه من وساوس التكذيب ما شوش عليه حاله، حين رأى النبى ، قد حسن القراءتين وصوبهما على ما بينهما من اختلاف، وكانتا فى سورة واحدة هى سورة النحل على ما رواه الطبرى 0 وكأن الذى مر بخاطره وقتئذ أن هذا الاختلاف فى القراءة ينافى أنه من عند الله 0 لكنه كان خاطراً من الخواطر الرديئة التى لا تنال من نفس صاحبها منالاً، ولا تفتنها عن عقيدة، ولا يكون لها أثر باق، ولا عمل دائم 0

ومن رحمة الله بعباده؛ أنه لا يؤاخذهم بهواجس النفوس وخلجات الضمائر العابرة، ولكن يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم، حين يفتح الإنسان للشبهة صدره، ويوجه إليها اختياره وكسبه، ثم يعقد عليها فؤاده وقلبه 0

قال القرطبى : "فكان هذا الخاطر الذى سقط فى نفس أبى من قبيل ما قال فيه النبى حين سألوه : **إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم**

---

[1] () انظر: الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى 1/48، 4/563 0

[2] () انظر : مجلة العربى العدد 480 لسنة 1998، ص 114 – 119 0

أحدنا أن يتكلم به قال : أوقد وجدتموه؟ قالوا: نعم 0 قال ذلك صريح الإيمان"[1] أ 0هـ 0

ومن هنا تعلم أن ما خطر لسيدنا أبى بن كعب ، لا يمس مقامه، ولا يصادم إيمانه، ما دام قد دفعه بإرشاد رسول الله سريعاً حتى قال أُبى نفسه : "ففضت عرقاً، وكأنى انظر إلى الله فرقاً"[2] أ 0هـ 0

أضف إلى ما ذكرنا أن خصومة أبى بن كعب، وعمر وغيرهم من الصحابة فى أمر اختلاف القراءة على هذا النحو، إنما كانت قبل أن يعلموا أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فهم وقتئذٍ كانوا معذورين، بدليل أنهم لما علموا بذلك، واطمأنت إليه نفوسهم، عمل كل منهم بما علم، وصاروا مراجع مهمة من مراجع القرآن الكريم على اختلاف رواياته 0

يدل على ذلك ما روى عن أبى ابن كعب قال : لقى رسول الله جبريل فقال يا جبريل إنى بعثت إلى أمة أميين : منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل، الذى لم يقرأ كتاباً قط، قال : يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف"[3]0

---

1 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة فى الإيمان وما يقوله من وجدها 1/340 رقم 132 من حديث أبى هريرة 0

2 () مناهل العرفان 1/143 –144 0 وانظر : فتح البارى 9/640، 641، والمنهاج شرح مسلم للنووى 3/364 0

3 () أخرجه الترمذى فى سننه كتاب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف 5/178، 179رقم 2944 وقال : هذا حديث حسن صحيح،وقد روى من غير وجه عن أبى بن كعب 0 وانظر : مناهل العرفان 1/144 وما بعدها 0

أما ما زعمه دعاة اللادينية أن القراءات ليست من الوحى، ومصدرها لهجات القبائل المختلفة، فهذا كذب آخر 0

يبطله أن المختلفين فى الخبر المذكور الذى أوردناه آنفاً كل منهما قرأ سورة الفرقان بحرفين مختلفين، كانا جميعاً بنى عم قرشيين، من قريش البطاح، من قبيلة واحدة، جاران ساكنان فى مدينة واحدة، وهى مكة، لغتهما واحدة، وهما عمر بن الخطاب بن نفيل ابن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قريط بن رزاح بن عدى بن كعب، وهشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن كلاب بن مرة بن كعب، ويجتمعان جميعاً فى كعب بن لؤى، بين كل واحد منهما، وبين كعب بن لؤى، ثمانية آباء فقط 0

فظهر كذب من ادعى أن اختلاف الأحرف، إنما كان لاختلاف لغات قبائل العرب 0 وأبى ربك إلا أن يحق الحق، ويبطل الباطل، ويظهر كذب الكاذب، ونعوذ بالله العظيم من الضلال والعصبية للخطأ"[1] أ0هـ 0

---

[1] () الإحكام لابن حزم 5/571، 572 0

المبحث الثانـى
معنى نزول القرآن على سبعة أحرف

قوله : **"أنزل القرآن على سبعة أحرف"** أى على سبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكل وجه منها 0

وليس المراد أن كل كلمة أو جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات فى الكلمة الواحدة إلى سبعة 0

فإن قيل فإنا نجد بعض الكلمات يقرأ على سبعة أوجه 0

فالجواب أن غالب ذلك إما لا يثبت الزيادة، وإما أن يكون من قبيل الاختلاف فى كيفية الأداء كما فى المد والإمالة ونحوهما[1]0

قال الشيخ الزرقانى -رحمه الله- : "وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ على سبعة أوجه : إذاً لقال **"إن هذا القرآن أنزل سبعة أحرف" بحذف لفظ "على"**0

بل المراد ما علمت من أن هذا القرآن أنزل على هذا الشرط وهذه التوسعة، بحيث لا تتجاوز وجوه الاختلاف سبعة أوجه، مهما كثر ذلك التعدد والتنوع فى أداء اللفظ الواحد، ومهما تعددت القراءات، وطرقها فى الكلمة الواحدة 0 فكلمة [2] التى ورد أنها تقرأ بطرق تبلغ السبعة أو العشرة، وكلمة [3] التى ورد أنها تقرأ باثنتين وعشرين قراءة، وكلمة من قوله تعالى:

---

[1] () فتح البارى 8/640 رقم 4991 0
[2] () الآية 4 من سورة الفاتحة 0
[3] () جزء من الآية 60 من سورة المائدة 0

[illegible][4] والتى أوصل الرمانى لغاتها إلى سبع وثلاثين لغة 0 وكل أولئك وأشباه أولئك، لا يخرج التغاير فيه على كثرته عن وجوه سبعة[2]0

وعلى هذا فالمراد بالأحرف فى الأحاديث السابقة وجوه فى الألفاظ وحدها لا محالة، بدليل أن الخلاف الذى صورته لنا الروايات المذكورة كان دائراً حول قراءة الألفاظ لا تفسير المعانى، مثل قول عمر : "إذ هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ثم حكم الرسول أن يقرأ كل منهما، وقوله : **"هكذا أنزلت"** وقوله : **"أى ذلك قرأتم فقد أصبتم"** ونحو ذلك، ولا ريب أن القراءة أداء الألفاظ، لا شرح المعانى[3]0

إن القراءات كلها على اختلافها كلام الله، لا مدخل لبشر فيها، بل كلها نازلة من عنده تعالى، مأخوذة بالتلقى عن رسول الله ، يدل على ذلك أن الأحاديث الماضية تفيد أن الصحابة كانوا يرجعون فيما يقرأون إلى رسول الله يأخذون عنه ويتلقون منه كل حرف يقرأون عليه، انظر قوله فى قراءة كل من المختلفين **"هكذا أنزلت"** وقول المخالف لصاحبه : "أقرأنيها رسول الله 0

ثم أضف إلى ذلك أنه لو صح لأحد أن يغير ما شاء من القرآن بمرادفة أو غير مرادفة، لبطلت قرآنية القرآن، وأنه كلام الله، ولذهب الإعجاز، ولما تحقق قوله سبحانه وتعالى : [illegible][4]0

---

1 () جزء من الآية 23 من سورة الإسراء 0
2 () مناهل العرفان 1/156 0
3 () المصدر السابق 1/154 وانظر المراد بالوجوه السبعة التى لا تخرج عنها القراءات فى المصدر السابق 1/156، وفتح البارى 8/640 0
4 () الآية 9 من سورة الحجر 0

وهذا ما يهدف إليه دعاة اللادينية فى قولهم : "أنزل القرآن على سبعة أحرف" أى أنه أنزل على سبع لغات مختلفة فى لفظها ومادتها 0 يفسر ذلك القول ابن مسعود : "إنما هو كقولك هلم وتعال وأقبل"[1]0

ويجاب عن ذلك فضلاً عما سبق أن التبديل والتغيير مردود من أساسه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾[2]0

أما ما جاء فى حديث أبى الدرداء، وقراءته على قراءة ابن مسعود مرفوعاً : "**والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى**"[3]0

فأجاب عن ذلك الإمام المازرى[4] **فقال** : "يجب أن يعتقد فى هذا الخبر وما فى معناه أن ذلك كان قرآناً ثم نسخ، ولم يعلم من خالف النسخ فبقى على النسخ، ولعل هذا وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف

---

1 () فى الأدب الجاهلى ص 95 0

2 () الآيتان 15، 16 من سورة يونس 0

3 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات 3/370 رقم 824 0

4 () المازرى هو:الإمام العلامة محمد بن على بن عمر التميمى المازرى،أبو عبد الله، من فقهاء المالكية، كان محدثاً، فقهياً، أصولياً،أديباً،وله دراية بالطب،من مصنفاته المعلم بفوائد شرح مسلم، وإيضاح المحصول من برهان الأصول 0وغير ذلك توفى عام 536هـ 0له ترجمة فى:الديباج المذهب ص374 رقم 508، وسير أعلام النبلاء 12/169، ووفيات الأعيان 1/486، وشذرات الذهب 4/114، والوافى بالوفيات 4/151، وشجرة النور الزكية 1/127 رقم 371 0

عثمان المجمع عليه، المحذوف منه كل منسوخ، وأما بعد ظهور مصحف عثمان فلا يظن بأحد منهم أنه خالف فيه[1]0

قال ابن حزم مؤيداً ذلك : "لأن قراءة عاصم المشهورة" المأثورة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود عن النبى ، وقراءة ابن عامر مسندة إلى أبى الدرداء عن رسول الله فيهما جميعاً [2] فهى زيادة لا يجوز تركها"[3] أ0هـ 0

وأما ابن مسعود فرويت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت عند أهل النقل، وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه، فهو محمول على أنه كان يكتب فى مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس من القرآن، وكان لا يعتقد تحريم ذلك، وكان يراه، كصحيفة يثبت فيها ما يشاء،وكان رأى عثمان والجماعة،منع ذلك لئلا يتطاول الزمان ويظن ذلك قرآناً0

قال المازرى : فعاد الخلاف إلى مسألة فقهية، وهى أنه هل يجوز إلحاق بعض التفاسير فى أثناء الصحف؟ قال : ويحتمل ما روى من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتب كل القرآن، وكتب ما سواهما وتركهما لشهرتهما عنده وعند الناس"[4] أ0هـ 0

يقول ابن حزم : "ومن العجب أن جمهرة من المعارضين لنا، وهم المالكيون، قد صح عن صاحبهم مالك بن أنس أنه قال: اقرأ عبد الله بن مسعود رجلاً : [5] فجعل الرجل يقول : طعام اليتيم، فقال له ابن مسعود طعام الفاجر0 قال ابن

---

1 () المنهاج شرح مسلم للنووى 3/371 0
2 () الآية 3 من سورة الليل 0
3 () الإحكام لابن حزم 5/573 0
4 () المنهاج شرح مسلم 3/371 وانظر:الإتقان 1/213، 214، وتأويل مشكل القرآن ص 47-49، وبحوث فى القرآن والسنة للأستاذ عبد الله كنون ص 94 –96 0
5 () الآيتان 43، 44 من سورة الدخان 0

وهب قلت لمالك : أترى أن يقرأ كذلك؟ قال نعم أرى ذلك واسعاً، فقيل لمالك : أفترى أن يقرأ بمثل ما قرأ عمر بن الخطاب فامضوا إلى ذكر الله؟ قال مالك : ذلك جائز ... إلخ 0

قال ابن حزم : "فكيف يقولون مثل هذا؟ أيجيزون القراءة هكذا! فلعمرى لقد هلكوا وأهلكوا، وأطلقوا كل بائقة فى القرآن، أو يمنعون من هذا، فيخالفون صاحبهم فى أعظم الأشياء، وهذا إسناد عنه فى غاية الصحة وهو مما أخطأ فيه مالك مما لم يتدبره، لكن قاصداً إلى الخير، ولو أن امرأً ثبت على هذا وجازه بعد التنبيه له على ما فيه، وقيام حجة الله تعالى عليه فى ورود القرآن بخلاف هذا لكان كافراً، ونعوذ بالله من الضلال[1] أ0هـ 0

وهاك برهانٌ آخر ذكره صاحب التبيان فى آداب حملة القرآن-على فساد مزاعم أعداء الإسلام من المستشرقين وأذيالهم من جواز "قراءة القرآن بالمعنى"0

يقول الإمام النووى : "إن النبى علم البراء بن عازب دعاء فيه هذه الكلمة "**ونبيك الذى أرسلت**" فلما أراد البراء أن يعرض ذلك الدعاء على رسول الله قال : "**ورسولك الذى أرسلت**" فلم يوافقه النبى على ذلك، بل قال له : **لا 0 ونبيك الذى أرسلت**"[2]0 وهكذا نهاه عليه الصلاة والسلام أن يضع لفظة "**رسول**"، موضع لفظة "**نبى**" مع أن كليهما حق لا يحيل معنى، إذ هو رسولٌ ونبى معاً0

ثم قال : فكيف يسوغ للجهال المغفلين أن يقولوا : إنه كان يجيز أن يوضع فى القرآن الكريم مكان عزيز حكيم، غفور رحيم، أو سميع عليم 0 وهو يمنع من ذلك فى دعاء ليس قرآناً، والله يقول مخبراً عن نبيه :

---

1 () الإحكام لابن حزم 5/574 0
2 () سبق تخريجه ص 361 0

[illegible][3]، ولا تبديل أكثر من وضع كلمة، مكان أخرى"[2] أ0هـ 0

ويقول فضيلة الأستاذ الدكتور زقزوق رداً على مزاعم المستشرقين فى ترويجهم لفكرة "قراءة القرآن بالمعنى" : "إن الواقع الذى عليه المسلمون منذ أربعة عشر قرناً هو تمسكهم الشديد بالمحافظة على الوحى القرآنى لفظاً ومعنى، ولا يوجد مسلم يستبيح لنفسه أن يقرأ القرآن بأى لفظ شاء ما دام يحافظ على المعنى 0

وليبحث المستشرقون اليوم فى أى مكان فى العالم عن مسلم يستبيح لنفسه مثل ذلك وسيعيهم البحث 0

فلماذا إذن هذا التشكيك فى صحة النص القرآنى وهم يعلمون مدى حرص المسلمين فى السابق واللاحق على تقديس نص القرآن الكريم لفظاً ومعنى؟

إنهم يبحثون دائماً – كما سبق أن أشرنا – عن الآراء المرجوحة والأسانيد الضعيفة ليبنوا عليها نظريات لا أساس لها من التاريخ الصحيح، ولا من الواقع 0

فنحن المسلمون قد تلقينا القرآن الكريم عن الرسول ، وهو بدوره تلقاه وحياً من الله ولم يحدث أن أصاب هذا القرآن أى تغيير أو تبديل على مدى تاريخه الطويل، وهذه ميزة فريدة انفرد بها القرآن وحده من بين الكتب السماوية كافة، الأمر الذى يحمل فى طياته صحة هذه الشريعة التى

---

[1] ( ) الآية 15 من سورة يونس 0
[2] ( ) انظر : مناهل العرفان 1/191 0

ختم بها الله دينه الذى بعث به جميع أنبيائه، ورسله من لدن آدم إلى خاتمهم 0

وفى هذا الصدد نورد ما ذكره "رودى بارت" فى مقدمة ترجمته الألمانية للقرآن – وكأنه يرد على زملائه الذين راحوا يشككون فى صحة النص القرآنى 0

يقول "بارت" : "ليس لدينا أى سبب يحملنا على الاعتقاد بأن هناك آية فى القرآن كله لم ترد عن محمد "[1] أ 0هـ 0

---

[1] () الاستشراق للدكتور محمود حمدى زقزوق ص 111، 112 بتصرف يسير 0

المبحث الثالث
الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع

إن الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم، لا تعنى القراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة[1]، ومن زعم ذلك أخطأ من وجهين :

أحدهما : أن الأحرف التى نزل بها القرآن، أعم من تلك القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة القراء عموماً، وأن هذه القراءات أخص من تلك الأحرف السبعة النازلة خصوصاً مطلقاً، ذلك لأن الوجوه التى أنزل الله عليها كتابه، تنتظم كل وجه قرأ به النبى ، وأقرأه أصحابه، وذلك ينتظم القراءات السبع المنسوبة إلى هؤلاء الأئمة السبعة القراء، كما ينتظم ما فوقها إلى العشرة، وما بعد العشرة، وما كان قرآناً، ثم نسخ، ولم يصل إلى هؤلاء القراء جميعاً، ولهذا نصوا فى المذهب المختار على أنه يشمل كل وجوه القراءات : صحيحها وشاذها ومنكرها[2]0

---

1 () القراء السبعة المعروفون هم :
1- عبد الله بن عامر (ت 118)0
2- عبد الله بن كثير الدارى (ت 120هـ)0
3- أبو بكرعاصم بن أبى النجود الأسدى (ت 127هـ)0
4- أبو عمرو زبان بن العلاء البصرى (ت 154هـ)0
5- حمزة بن حبيب الزيات (ت 156هـ)0
6- نافع بن عبد الرحمن (ت 169هـ)0
7- على بن حمزة الكسائى (ت 189هـ)0 انظر : مناهل العرفان 1/453 – 459، ومعرفة القراء الكبار للذهبى 1/82 وما بعدها، وغاية النهاية لابن الجزرى 1/261 وما بعدها 0

2 () مناهل العرفان 1/193 0

وقال مكى بن أبى طالب[1] : "هذه القراءات التى يقرأ بها اليوم، وصحت رواياتها عن الأئمة، جزء من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن "... قال ومن ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع، وعاصم، هى الأحرف السبعة التى فى الحديث فقد غلط غلطاً عظيماً، قال : ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم، ووافق خط المصحف أن لا يكون قرآناً"[2]0

وفى هذا رد على طه حسين ومن قال بقوله : "إن القراءات ليست من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن"[3] **أ 0هـ 0**

ثانيهما : أن السبعة لم يكونوا قد خلقوا، ولا وجدوا حين نطق الرسول ، بهذا الحديث الشريف 0 ومحال أن يفرض الرسول على نفسه، وعلى أصحابه، ألا يقرأوا بهذه الأحرف السبعة النازلة إلا إذا علموا أن هؤلاء القراء السبعة قد اختاروا القراءة بها، على حين أن بين العهدين بضعة قرون[4]، وعلى حين أن هؤلاء القراء وسواهم إنما أخذوا عن النبى ، من طريق أصحابه، ومن أخذ عنهم، إلى أن وصلوا إليهم 0

---

1 () مكى بن أبى طالب هو: مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسى،كان من أهل التبحر فىعلوم القرآن،والعربية،كثير التأليف فى علوم القرآن،محسناً لذلك،من مصنفاته "الإيجاز" و"الموجز فى القراءات" و"الهداية فى التفسير" وغير ذلك توفى سنة 437هـ 0له ترجمة فى : الديباج المذهب ص 424 رقم 595، ووفيات الأعيان 2/120، وشذرات الذهب 3/260، وطبقات المفسرين للداودى 2/331 رقم 643، وطبقات القراء لابن الجزرى 2/309 0

2 () فتح البارى 8/648، وانظر : الإتقان للسيوطى 1/215 فقرة رقم 1097، والأحرف السبعة فى القرآن ومنـزلة القراءات منها للدكتور حسن ضياء الدين مبحث "شواهد من أقوال العلماء في بيان أن القراءات بعض الأحرف" ص 226 0

3 () انظر : فى الأدب الجاهلى لطه حسين ص 95 0

4 () اشتهرت هذه القراءات السبع على رأس المائتين فى الأمصار الإسلامية، ولم تأخذ مكانـها من التدوين إلا فى خاتمة القرن الثالث، حين قام الإمام ابن مجاهد أحمد بن موسى بجمع قراءات هؤلاء الأئمة السبعة أ0هـ، انظر : مناهل العرفان 1/193 هامش 0

ثم إن القول بأن الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ما هى إلا تلك القراءات السبع المعروفة الآن، يستلزم أن يبقى قول الرسول : **"إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف"** عارياً عن الفائدة، غير نافذ الأثر، حتى يولد القراء السبعة المعروفون وتؤخذ القراءة عنهم 0 وذلك باطل أيضاً يكذبه الواقع من قراءة النبى ، وقراءة أصحابه وتابعيه بالأحرف السبعة من قبل أن يولد القراء السبعة المعروفون 0

قال المحقق ابن الجزرى : "فلو كان الحديث منصرفاً إلى قراءات السبعة المشهورين أو سبعة غيرهم من القراء الذين ولدوا بعد التابعين، لأدى ذلك إلى أن يكون الخبر عارياً عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء السبعة، فتؤخذ عنهم القراءة، وأدى أيضاً إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به، وهذا باطل، إذ طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن إمام ثـقة، لفظاً عن لفظ، إماماً عن إمام، إلى أن يتصل بالنبى 0[1]

وقال أبو شامة[2] : "ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل"[3] أ 0هـ 0

---

[1] () مناهل العرفان 1/193 – 194 0

[2] () أبو شامة هو : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو شامة المقدسى، الإمام الحافظ المحدث المجتهد الشافعى، المقرئ، النحو، تولى مشيخه الإقراء، والحديث بدمشق 0 من مؤلفاته : "شرح الشاطبية" و "مختصر تاريخ دمشق" وغير ذلك مات سنة 665هـ 0 له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ 4/1460 رقم 1157، وطبقات المفسرين للداوودى 1/268 رقم 254، وطبقات القراء لابن الجزرى 1/366، وطبقات الشافعية للسبكى 8/165، وشذرات الذهب 5/318 0

[3] () فتح البارى 8/647، وانظر : الإتقان 1/215 فقرة رقم 1093 0

المبحث الرابع
بقاء الأحرف السبعة فى المصاحف

يقول الإمام ابن حزم رداً على من زعم أن سيدنا عثمان أسقط ستة أحرف من جملة الأحرف السبعة المنزل بها القرآن من عند الله 0

قال : تلك "عظيمة من عظائم الإفك والكذب، ويعيذ الله تعالى عثمان من الردة بعد الإسلام 0

ولقد أنكر أهل التعسف على عثمان أقل من هذا، مما لا نكره فيه أصلاً، فكيف لو ظفروا له بمثل هذه العظيمة 0 ومعاذ الله من ذلك، وسواء عند كل ذى عقل، إسقاط قراءة أنزلها الله تعالى، أو إسقاط آية أنزلها الله تعالى، ولا فرق، وتالله إن من أجاز هذا غافلاً، ثم وقف عليه، وعلى برهان المنع من ذلك وأصر، فإنه خروج عن الإسلام لاشك فيه، لأنه تكذيب لله تعالى فى قوله الصادق لنا : [illegible] وفى قوله الصادق: [illegible] [2] فالكل مأمورون باتباع قرآنه الذى أنزله الله تعالى عليه 0 فمن أجاز خلاف ذلك فقد أجاز خلاف الله تعالى وهذه ردة صحيحة لا مرية فيها، وما رامت غلاة الروافض وأهل الإلحاد الكائدون للإسلام[3] إلا بعض هذا[4] أ 0هـ 0

يقول الشيخ الزرقانى : "ونحن إذا رجعنا بهذه الأوجه السبعة إلى المصاحف العثمانية وما هو مخطوط بها فى الواقع ونفس الأمر، نخرج بهذه

---

1 () الآية 9 من سورة الحجر 0
2 () الآيات 17-19 من سورة القيامة 0
3 () انظر : فى الأدب الجاهلى لطه حسين ص 96-99 وبقية المصادر السابقة ص 724 0
4 () الإحكام فى أصول الأحكام 4/565، 566 0

الحقيقة التى لا تقبل النقض، ونصل إلى فصل الخطاب فى هذا الباب، وهو أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها 0 ولكن على معنى أن كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كلاً أو بعضاً، بحيث لم تخل المصاحف فى مجموعها عن حرف منها رأساً"[1]0

ويدل على ذلك خطة سيدنا عثمان فى جمعه للقرآن الكريم وقوله للرهط القريشيين الثلاثة : عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام : "**إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم**" ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصه، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحفٍ أن يحرق"[2] فدل ذلك على ما هو مجمع عليه، أن سيدنا عثمان كتب مصاحف متعددة متفاوتة فى إثبات، وحذف، وبدل وغيرها، لأنه قصد اشتمالها على الأحرف السبعة، وجعلوها خالية من النقط والشكل، تحقيقاً لهذا الاحتمال أيضاً، فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه عند تجردها من النقط والشكل نحو [illegible] من قوله تعالى : [illegible][3] فإنها تصح أن تقرأ "**فتثبتوا**" عند خلوها من النقط، والشكل، وهى قراءة أخرى، أما الكلمات التى لا تدل على أكثر من قراءة عند خلوها من النقط والشكل مع أنها واردة بقراءة أخرى أيضاً، فإنهم كانوا يرسمونها فى بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفى بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية كقراءة "**وصى**" بالتضعيف و "**أوصى**"

---

1 () مناهل العرفان 1/171، وانظر : فتح البارى 8/626 – 638 أرقام 4986 – 4988 0

2 () أخرجه البخارى(بشرح فتح البارى)كتاب فضائل القرآن،باب جمع القرآن 8/627رقم 4987 0

3 () الآية 6 من سورة الحجرات 0

بالهمز، وهما قراءتان فى قوله سبحانه ﴿ ﴾[1] أ0هـ0

إن الأحرف السبعة باقية كما كانت إلى يوم القيامة، مثبوتة فى القراءات المشهورة من المشرق إلى المغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، فما بين ذلك، لأنها من الذكر المنزل الذى تكفل الله تعالى بحفظه، وضمان الله تعالى لا يخيس أصلاً، وكفالته تعالى لا يمكن أن تضيع 0

ومن البرهان على كذب أهل الجهل وأهل الإفك على عثمان

 فى هذا ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان : ﴿ ﴾[2] قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تَكْتُبها أو تَدَعها؟ قال : **يا ابن أخى لا أُغيِّرُ شيئاً منه من مكانه"**[3]0

وبعـد

إن القراءات كلها على اختلافها كلام الله، لا مدخل لبشر فيها، بل كلها نازلة من عنده تعالى، مأخوذة بالتلقى عن رسول الله وحفظها سيدنا

---

1 () جزء من الآية 132 من سورة البقرة، وانظر : مناهل العرفان 1/257 وما بعدها 0

2 () الآية 234 من سورة البقرة 0

3 () البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب "**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**" 8/41 رقم 4530، 4546، وانظر : الإحكام لابن حزم 5/568 0

عثمان فى جمعه لكتاب الله، ومعاذ الله أن يسقط منها شيئاً، وهى مثبوتة فى القراءات المشهورة فى مشارق الأرض ومغاربها 0

لا يجوز أن نجعل اختلاف القراءات معركة جدال ونزاع وشقاق، ولا مثار تردد وتشكيك وتكذيب، ولا سلاح عصبية وتـنطع وجمود 0 على حين أن نزول القرآن على سبعة أحرف إنما كانت حكمته من الله التيسير، والتخفيف، والرحمة، والتهوين على الأمة، فما يكون لنا أن نجعل من هذا اليسر عسراً، ومن هذه الرحمة نقمة!0 يرشد إلى ذلك قوله : "**الجدال فى القرآن كفر**"[1] وكذلك تغير وجهه الشريف عند اختلافهم وقوله لهم : "**إنما أهلك من قبلكم الاختلاف**"[2]0 وضربه فى صدر أُبَى بن كعب ، حين جال بخاطره حديث السوء فى هذا الموضوع الجليل 0 الذى زلت فيه بعض الأقدام، وكثر فيه القيل والقال، إلى حدٍ كاد يطمس أنوار الحقيقة"[3] أ 0هـ 0

---

[1] () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة، باب النهى عن الجدل فى القرآن 4/199 رقم 4603، والحاكم فى المستدرك كتاب التفسير 2/243 رقمى 2882، 2883 من حديث أبى هريرة، وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى 0 وانظر : الأحرف السبعة فى القرآن ومنـزلة القراءات منها للدكتور حسن ضياء الدين مبحث "الأحرف السبعة خصيصة لأمة محمد

[2] () أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب التفسير 2/243 رقم 2885، وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى 0 وانظر : الشريعة للآجرى ص 67 وما بعدها 0

[3] () انظر : مناهل العرفان 1/140 – 145، ومزيد من الدفاع عن الطعون الموجهة إلى الحديث انظر: الشيعة الإثنى عشرية ومنهجهم فى التفسير لفضيلة الدكتور محمد العسال، ص 131-140، والقرآن والقراءات والأحرف السبعة الحقيقة – العلاقة – صحة النقل لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الغفور محمود جعفر، ورسم المصحف العثمانى وأوهام المستشرقين فى قراءات الكريم للدكتور عبد الفتاح شلبى، والقراءات فى نظر المستشرقين والملحدين للشيخ عبد الفتاح القاضى، وأثر القراءات فى الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم على ص 9 –73 0

والله تبـــارك وتعالـــى
أعلـى وأعلـم